معه إلى أن علا ضجيجهم بالبكا والدعا والصلاة والطواف إلى
الصباح وخرج والدي في أودية مكة هائمًا في السياحة
ولم يدخل الحرم إلى يوم عيد الفطر وحكى لي رحمه الله قال
كان الشيخ رضي الله عنه يتردد إلى المسجد المعروف بالمنتهى
في أيام النيل ويحب مشاهدة البحر وفيه قال من جملة
أبيات في آخر ديوانه هذا البيت من جملتها

وطني بمصر وفيها وطري . ولعيني مشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يومًا فسمع قصارًا يقصر مقطعًا وهو يضرب به
الحجر ويقول

قطع قلبي هذا المقطع . قال ما يصفو أو يتقطع

فصرخ الشيخ صراخًا عظيمًا وما زال يصرخ ويكرر هذا البيت
كل يوم ساعة بعد ساعة ويضطرب اضطرابًا شديدًا وينقلب
على الأرض ثم يسكن اضطرابه حتى يظن أنه قد مات ثم يستفيق .

ويحدث معنا بكلام لذيذ ما سمعنا مثله قط ولا نحسن نعبر عنه ثم
يضطرب على كلامه ويستمع ويعود إلى حالته وجده فدخل إلينا
رجل من أصحابنا فلما رأى الشيخ وشاهد حاله قال

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا . فكم أحيا عليك وكم أموت

فوثب الشيخ قائمًا واعتنقه وقال له أعد ما قلت فسكت
الرجل شفقة منه عليه وسأله أن يرفق بنفسه وذكر له
شيئًا من حاله عند غلبة الوجد عليه فقال

إن ختم الله بغفرانه . فكلما لاقيته سهل

ولم يزل على هذه الحالة من حين سمع قول القصار إلى
أن توفي رحمة الله عليه كان سبب رحلة الشيخ
برهان الدين الجعبري رضي الله عنه من جعبر إلى زيارة شيخنا
رضي الله عنه وذلك أني كنت في مسجدي فورد على باطني
انقباض من أول الليل إلى طلوع الفجر فصليت الصبح فيه وخرج

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)